كنيسة مارمرقس القبطية
الأرثوذكسية
بمصر الجديدة

كيف تحت الأقدام ؟

القمص/ يوحنا باقى

اسم الكتاب : كيف تحت الأقدام ؟

المؤلف : القمص/ يوحنا باقى

الناشر : كنيسة مارمرقس – مصر الجديدة

الطبعة : الأولى

المطبعة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبى بمريوط

موبايل: 0122152856 & تليفاكس: 034596452

الجمع التصويرى : الناسخ السريع (فرع الدلتا) 22406992

المقدمـة

كان الاتضاع هو حياة المسيح، التى عاشها على الأرض مثالاً لنا؛ لنتعلم منه كيف نحيا باتضاع، لذا فهو شرط واضح لتبعية المسيح ونوال الخلاص.

ولكن كيف نحصل على الاتضاع والعالم كله يقاومه، فيمجد الكبرياء ويستهزئ بالمتضعين ويعتبرهم ضعفاء وفاشلين؟

كيف نقتنى الاتضاع وسط إغراءات الكبرياء كل يوم وجرى الناس وراءها ؟ كيف نقاوم تيار العالم ونثبت فى الاتضاع؟

وماذا لو استطعنا أن نتضع ولكن سرعان ما نسقط فى الكبرياء ؟ كيف نعود إلى اتضاعنا ولا نيأس ؟

كيف نتضع رغم مديح الناس لنا بسبب تصرفاتنا الحسنة ؟

إن كان الاتضاع هو قاهر الشيطان، فإن السلوك فيه يحتاج إلى معونة إلهية قوية. ورغم صعوبة الجهاد؛ لاقتناء الاتضاع، فإن التلذذ برؤية الله فيه تنسينا كل تعب.

هذا الكتاب يقدم لك وسائل عملية لاقتناء الاتضاع، فتكون من تابعى المسيح وتختبر الوجود عند الأقدام وتتمتع بالملكوت على الأرض، فتدرك ما لا تستطيع إدراكه خارج الاتضاع، فيفرح قلبك، بل تبشر بالاتضاع لكل من حولك.

الله قادر أن يعوض كل من له تعب فى وصول هذا الكتاب إليك، ويساعدك فى تنفيذ ما فيه، فهو رسالة شخصية لك؛ لتستنير عينيك وتعاين الله، بل تساعد من حولك على معاينته.

الله قادر أن يبارك حياتنا بشفاعة أمنا الطاهرة العذراء مريم وقديسنا مارمرقس الرسول كاروز ديارنا المصرية وصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث، أدام الله حياته لنا ورعايته ومحبته واتضاعه.

عيد القيامة المجيد **القمص**

4 أبريل 2010 **يوحنا باقى**

الفصل الأول
عشــرة الله

الفصل الأول
عشــرة الله

إن تجسدك يا إلهى كسر حواجز كثيرة بينى وبينك، إذ اتحدت بإنسانيتى؛ لتحررها من سلطان الكبرياء وتقيمها حية وقوية فيك وفتحت لى باباً كنت لا أتصور إنى أدخل فيه وهو عشرتك، لا لأستعيد مشاعر جنة عدن، بل لأدخل إلى أعماق عجيبة تعلو فوق إدراكى، وهناك أشعر أنى لا شئ أمام عظمتك يا رب. فكلما اقتربت إليك شعرت بضعفى، فأتضع تلقائياً دون أن تدعونى لهذا. كيف ؟

1- أتصاغر أمام حبه :

من أنا يا إلهى حتى تحبنى كل هذا الحب ؟ كيف تهتم بخلقتى على مثالك، ثم بعد سقوطى تبذل حياتك على الصليب لتفتيدنى وترفعنى ثانية إلى الفردوس، بل إلى الملكوت.

كلما تأملت حبك على الصليب أشعر أن حبك غير محدود وينجذب قلبى إليك، طالباً أن أجد نفسى فيك، فأصير ابنك، فأشعر دائماً أنى لا شئ فى ذاتى ولكنى عظيم بحبك، وكلما تذوقت حلاوة محبتك أتصاغر فى داخلى، فأتعلم الاتضاع دون تعب، إذ أتيقن أنى لا شئ ولكنى فى نفس الوقت، كل شئ بك أنت يا الله الساكن فىَّ.

2- أخشع أمام جلاله :

أنت المهوب المحوط بملائكتك فى كل حين يسبحونك على الدوام بخشوع وهم يغطون وجوههم وأرجلهم بأجنحتهم فى اتضاع.

العجيب أنك تسمح لى أنا الحقير أن أتقدم وسط صفوف الملائكة؛ لأشترك معهم فى تسبيحك.

كيف أدخل وأنا ذو الجسد؛ لأقف أمام بهائك، وسط السماويين وأتمتع برؤيتك وأنا مازلت على الأرض ؟

كيف تتضع وتتنازل وتعطينى جسدك ودمك فى كنيستك المقدسة؛ لترفعنى إلى سموك وتتحد بى؛ فأتذوق حلاوتك ؟

وأمام هذه العظمة الإلهية ينغرس فى قلبى الخشوع وأراك أمامى فى كل حين، فلا أستطيع أن أخرج عن الاتضاع فى كل معاملاتى؛ لأنى أراك فى كل الوجوه وكل خلائقك، فأسجد خاشعاً بقلبى أمامك دائماً.

3- أنكشف أمام نقاوته :

عندما أتطلع إلى الله فى الصلاة أجد نفسى أمام القدوس البار، فتنفضح خطاياى، بل تظهر شناعتها وسوادها أمام نقاوته، فأتضايق جداً من نفسى، التى تمررت فى حمأة الخطية مثل الخنازير وأتوق للتخلص من كل شرورى؛ لأستطيع أن أقف أمام بهاء وعظمة إلهى.

وإذ أرى حنانه الذى يقبلنى، أشعر أنى أقل جميع الناس، بل تحت الخليقة كلها؛ لأنه وهبنى بركات كثيرة واهتم بى، أما أنا فسقطت فى خيانته واخترت الخطية بدلاً منه، فأبكى نادماً على شرى، ساقطاً عند قدميه. وإذ يقيمنى بحبه أظل أشعر أنى رغم فرحى لا أستحق شئ من كل ما أعطانيه.

وبعدما قبلنى الله، لا أستطيع أن أنسى أنى جرحت قلبه، فتذكرى لخطاياى لا يفقدنى رجائى ومكانى فى الملكوت ولكن يحفظنى دائماً فى مكان الاتضاع.

4- أذوب أمام رحمته :

أتعجب لرحمة الله التى تقبلنى رغم كثرة خطاياى وتغفر لى كل آثامى الخفية والظاهرة وما فعلته بإرادتى، أو بدون إرادتى. والأعجب أن الله من أجل أن يغطينى برحمته تنازل من مجده متجسداً وأتضع مولوداً فى المذود وزاد اتضاعه بموته على الصليب؛ حتى يفدينى ويغفر خطاياى. إن رحمتك يا رب لها ثمن غالٍ جداً، هو حياتك التى بذلتها من أجلى على الصليب .. صليب العار والخزى.

وأمام اتضاعك العجيب؛ الذى جلب علىَّ هذه الرحمة العظيمة – أنا الخاطئ المتدنس بخطاياى – أشعر أنى فى خجل، بل أذوب أمام محبتك العظيمة وأتضع فى التراب أمامك أيها الإله المتضع من أجلى.

والغريب أيضاً أنك تعلم يا إلهى بضعفى وإنى سأخطئ إليك مرة ومرات وأجرح محبتك ومع هذا ترحمنى وتعدنى بالرحمة، كلما تبت ورجعت إليك. هل توجد فى العالم كله رحمة مثل هذه ! فمهما زادت قساوة قلوب البشر تتألق رحمتك الإلهية؛ لتعوض ضعفى أنا الخاطئ وكل الضعفاء الذين مثلى، التائبين، الراجعين إليك يا رب وتغفر كل خطايانا.

5- أقتدى بصفاته :

كلما تعودت الصلاة وقراءة الكتاب المقدس يزداد ارتباطى بالله، فيصبح صديقى وأبى وحبيبى، فأشتاق للتمثل به، أى أستعيد وضعى وهو أنى صورة الله ومثاله. وأتصرف بطبيعتى الجديدة – التى نلتها فى سر المعمودية – التى تشتاق للتشبه بالله.

وإلهى أعلن بوضوح أنه متضع فى تجسده ويود أن أتعلم منه التواضع حين قال "تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب تجدوا راحة لنفوسكم" (مت11: 29).

فعلمنى يا رب كيف أسلك، كما سلكت باتضاع فى كل حياتك على الأرض. أنت أخليت ذاتك وأخذت شكل العبد وصرت فى شبه الناس، أما أنا فبطبيعتى إنسان وعبد ضعيف، فالتواضع بالنسبة لى هو أن أعرف حقيقتى وحينئذ أشتاق للتمثل بك فى كل خطواتك، فأحيا كما ينبغى للإنسان الجديد أن يحيا.

6- أشتاق إلى كمالاته :

إن الله يحوى كل الصفات الجميلة، بل هو كمال هذه الفضائل، فعندما أتأمله تتحرك مشاعرى فى طموح؛ لأحيا مثله وبهذا أرتفع عن الأرضيات وأميل إلى السمائيات.

وتتحول تدريجياً طموحاتى من الطموحات العالمية إلى الروحية، فلا تعود الماديات تجذبنى، إذ أشعر أنها اقل مما ترغبه نفسى وأتأثر بكلمات الكتاب المقدس وبسير القديسين، الذين عاشوا

مع الله، فيزداد سعى للوجود معه وأهتم باقتناء الفضائل، مهما احتاج هذا إلى جهاد كثير. وهكذا أسعى إلى ملء قامة المسيح.

7- أتضاءل أمام الآخرين :

بعدما أتعلم الاتضاع أمام الله يسهل علىّ اكتشاف فضائل الآخرين، بل والانبهار بها؛ لأنها من الله، فأسعى للاقتداء بها وأشعر أنى محتاج أن أتعلم من الكل، فإذ هم جميعاً أفضل منى، أفرح أن آخذ بركة الكل وأحتمل كل تصرفاتهم، حتى لو احتوت على بعض الإساءات، فلا أغضب من أحد وأسعى لخدمة الكل وأشكر الله على كل من حولى، الذين أنال وأتعلم منهم الكثير من الفضائل، وهذا هو الاتضاع الحقيقى.

بدأت الخلافات الزوجية فى هذه الأسرة، مما جعل جو البيت يتوتر واستمرت عبر السنين لأسباب كثيرة، مما سبب اضطراباً للأبناء، وليس فقط للزوجين، خاصة وأن الزوج كان بعيداً عن الكنيسة وعلاقته ضعيفة بالله.

كانت الزوجة مرتبطة بالكنيسة وتذهب إلى أبونا بيشوى كامل وتشكى له همومها، فيرشدها للتمسك بالله وتلافى أسباب المشاكل قدر ما تستطيع، وكانت تحاول أن تطيعه ولكن هذا لم يمنع المشاكل، لعنف الزوج وتهديداته التى لا تنتهى، بل وتصرفاته المزعجة.

رفع أبونا بيشوى قداسات كثيرة من أجل هذه المشكلة وكان يذكرها فى صلواته الخاصة وينسحق أمام الله فى ميطانيات؛ ليتحنن على هذا البيت ويبعد حروب الشيطان عنهم ويلين قلب الزوج ويساند الزوجة المسكينة، ولكن للأسف استمرت المشاكل، بل وازدادت أيضاً.

حاولت الزوجة أن تذهب مع زوجها إلى أبونا بيشوى، أو أى أب كاهن ولكنه كان يرفض تدخل أى أحد، وكان مصراً على سلوكه العنيف.

فى أحد الأيام اتصل الزوج بزوجته تليفونياً وحدثت مشادة بينهما لتسلط الزوج، فلما وجد أن زوجته تصرفت بعكس ما يريد، هدد بأنه سيرجع إلى البيت ويؤدبها على ما صنعته.

شعرت الزوجة بالخوف والاضطراب، فأرسلت ابنها فى الحال إلى أبونا بيشوى؛ ليحضر وينقذها من هذا الموقف، ولعلم أبونا بمشاكلهم ترك ارتباطاته وأسرع إلى البيت؛ لينقذ الموقف.

وصل أبونا بيشوى إلى البيت وجلست الزوجة تقص عليه ما حدث وهو يحاول تهدئتها ومساندتها بقوة الله. وفيما هو يتكلم دخل الزوج الشقة، ففوجئ بأبونا أمامه؛ فاغتاظ جداً من زوجته التى استدعت أبونا، ورأى أن تصرفاته الشريرة ستنفضح أمام الكاهن، فصاح موبخاً زوجته؛ لأنها تتحداه وتحضر أبونا دون علمه وقال : ما دمت قد فعلت هذا، فلن أجلس دقيقة واحدة فى الشقة وخرج فى الحال.

خرج أبونا بسرعة وراءه. ونزل الزوج إلى الشارع وأبونا خلفه وأخذ الزوج يسير بخطى واسعة وأبونا يلاحقه وكلما نظر الزوج وراءه وجد أبونا يسير خلفه، بل وينادى عليه.

وحتى يهرب الزوج من أبونا ويتخلص منه، أخذ يجرى فى الشارع وسط الزحام، ولكن عندما نظر خلفه وجد أبونا يجرى أيضاً وراءه، مصراً أن يلحق به، فقال الزوج لأبونا بصوت عالٍ:

"ما يصحش يا أبونا تجرى فى الشارع، علشان كهنوتك واحترامك".

أما أبونا فظل يجرى، مستهيناً بكرامته.

عندما عجز الزوج عن إيقاف ملاحقة أبونا له، خطرت له فكرة للتخلص من أبونا، فجلس فى الشارع على الرصيف ووصل أبونا إليه، فقال له الزوج :

"أدى قعدة أما أشوف بقى هاتعمل إيه".

فوجئ الزوج بأبونا يجلس بجواره على الرصيف، فقال له:

"يا أبونا ما يصحش تقعد على الأرض فى الشارع، فين كرامتك" لكن أبونا جلس باتضاع وقال له إن كان المسيح قد جلس عند رجلين تلاميذه، ألا أجلس أنا بجوار ابنه التعبان !

حاول الزوج أن يجعل أبونا ينصرف؛ لأنه شخص معروف فى المنطقة ولا يصح أن يراه الناس بهذا الوضع، أما أبونا فظل مصراً على جلسته، بل أخذ يتكلم بمحبة مع هذا الزوج، الذى شعر بضعفه أمام عظمة هذا الرجل المتضع.

كلمه أبونا عن محبة المسيح له، وبدأ يدعوه لإقامة علاقة مع الله والحضور إلى الكنيسة. لم يستطع الزوج أن يقاوم كلمات أبونا القوية، التى خرجت بصوت هادئ ولكنها حركت مشاعره فاستسلم ووعد أبونا بالحضور إلى الكنيسة، بل ووعده بأنه سيعود إلى بيته حالاً، ويصالح زوجته، ويبدأ حياة جديدة معها ومع أولاده. وببركة الله وصلوات أبونا ورعايته لهذه الأسرة، لأن الزوج أحب أبونا وبدأ يتردد عليه، عاشت الأسرة فى سلام وتخلصوا من المشاكل العنيفة، وبدأت الابتسامات تعود إلى وجوه الأبناء والوالدين.

الفصل الثانى
التــوبــة

الفصل الثانى
التــوبــة

الإنسان التائب هو الإنسان الطبيعى، الذى يعى حقيقة نفسه وخطاياه وفى نفس الوقت يثق بقوة الله ومحبته، التى تغفر له كل شروره.

هذه التوبة تولد بالضرورة اتضاعاً داخل الإنسان، بل هى أقصر طريق للحماية من الكبرياء لماذا ؟

1- خطاياى وضعفى :

تذكر الإنسان لخطاياه، بل وتوبته عنها وندمه على فعلها، يشعره بضعفه، إذ عجز عن السير فى الطريق الطبيعى وهو النقاوة والحياة مع الله، وعندما يعاين عجزه، يلتجئ سريعاً إلى الله؛ ليغفر له خطاياه ويسانده؛ حتى لا تسيطر عليه الخطية، بل يخلصه من تحكم الشيطان وذله.

والذى يحاسب نفسه ويعرف خطاياه هو الإنسان الوحيد الواعى لحقيقته، فلا يستطيع إبليس أن يوهمه أن الشر حياة طبيعية، وبالتالى يرفض تبرير أية خطية، ويسرع إلى التوبة؛ لأنه ضعيف ومحتاج إلى معونة الله.

والذى اكتشف ذل العبودية للشيطان، يختار على الفور الإلتجاء إلى الله؛ لأن العبودية لله هى الحرية الحقيقية. ولا يستطيع إبليس أن يخدعه بأنه قادر على صد الخطية وحده؛ حتى

يظل يتحكم فيه، بل يسرع إلى التوبة؛ ليقينه أنه ضعيف، فيتمتع بحنان الله ورعايته وغفرانه، وهذا هو الاتضاع الحقيقى.

2- تقصيراتى وخجلى :

إن محبتك يا الله تغمرنى وصوتك الحلو ينادينى دائماً؛ لأتمتع بالوجود بين يديك، ولكنى أتخاذل فى سخافة، وأنشغل عنك بأمور أرضية تافهة، فإذ أراجع نفسى أخجل من تصرفاتى الغير حكيمة، وتتضح أمامى خطورة تقصيراتى فى حبك.

إنك تريد يا رب أن تحدثنى، فكيف أسد أذنى؛ ولا أريد سماع صوتك فى الكتاب المقدس وفى تعاليم الكنيسة ؟! بل وحتى إرشاداتك الخاصة بى – على لسان أب اعترافى – أتناساها وسط زحام الحياة، فعندما أواجه نفسى أمامك، أطأطئ رأسى ولا أجد إجابة؛ إلا أن أطلب رحمتك.

لقد أرسلتنى لأبشر أخوتى بحبك، وطلبت منى أن أكون نوراً للعالم وملحاً للأرض، ولكنى تركت الذئاب تخطفهم، فماذا أقول لك عندما تسألنى عنهم ؟ لقد أهلكتهم بإهمالى، إنى بهذا أشارك قايين قاتل أخيه وليس من يدافع عنى إلا روحك القدوس، الذى يسامحنى ويعطينى رجاء، ويقيمنى من ذلى.

3- ميطانياتى وتذللى :

عندما تنكشف أمامى شناعة خطاياى وأقف أمام بهاء مجدك يا إلهى، لا أستطيع النظر إليك، أثناء الصلاة، فأسجد خاشعاً، عندما يلمس جبينى تراب الأرض معلناً أنى أقل من التراب، ولكنى أقوم بقوتك؛ لأقف أمامك وكلى رجاء فى رحمتك وغفرانك.

وإذ أشعر بقلبك المتسع الرحيم وكثرة خطاياى، أكرر سجودى أمامك فى ميطانيات كثيرة، وأبلل قدميك بدموعى، مثل المرأة الخاطئة، لأنال مراحمك الكثيرة.

وكلما تكررت ميطانياتى وتذللى أمامك، يزداد إيمانى بقوتك المساندة؛ لأنى فى كل ميطانية أبث لديك ضعفى وخزى، فترفعنى بيدك الحانية وتقيمنى فيك، واختبر فى كل ميطانية الموت معك على الصليب؛ لأقوم فيك بمجد عظيم. وهكذا يتحول التذلل إلى قوة والضعف إلى نصرة، فأشعر أن الاتضاع هو طريق المجد.

4 – حنانى وإشفاقى :

إذا فهمت حقيقة ضعفى، يسهل علىّ الإحساس بالآخرين، الذين هم ضعفاء مثلى ويتعرضون للسقوط فى خطايا متنوعة، فأشفق عليهم وأتمنى أن يتمتعوا بغفران الله معى.

وإذا حاول إبليس أن يسقطنى فى إدانتهم يتحول نظرى سريعاً إلى خطاياى، فأدين نفسى فى توبة، تغير نظرتى نحو الآخرين، فلا أدينهم، بل بحنان أصلى من أجلهم؛ ليسندنى الله أنا وهم ويصد هجمات إبليس عنا.

وإذا اختبرت صعوبة الجهاد الروحى ألتمس الأعذار لمن تتكرر خطاياهم، بل أحاول أن أساندهم بالمحبة والتشجيع وأشاركهم فى أفراحهم وأحزانهم؛ لأقدم لهم مسيحى المحب.

وإذا رأيت اخوتى منغمسين فى الخطية، أطلب من الله ليوقظنى ويوقظهم بطرقه العجيبة، حتى نعود إليه. وأتقدم أمام الله

مثل المسيح الفادى، فأصلى وأصوم وأسجد من أجلهم أمام الله، ليرحمنى ويرحمهم.

وهكذا يقودنى إشفاقى على الآخرين الخطاة مثلى إلى الاتضاع من أجل ضعفى وضعفهم؛ ليرحمنا الله؛ إذ أشعر بمسئوليتى عنهم وعجزى عن إقامتهم من شرهم، فأنسحق أمام الله ليقبلنى ويقبلهم.

5- احتمال إهاناتى :

وعندما أتغافل عن خطاياى، يذكرنى الله بها عن طريق إساءات الآخرين وإهاناتهم؛ لأعرف حقيقة نفسى وأعود إلى التوبة؛ لذا لا أتضايق ممن يهينونى، بل هم رسل الله الرحماء، الذين يعودون بى إلى التوبة.

إن الإهانات تكشف ضعف احتمالى عندما أتضايق منها، فأطلب معونة الله؛ ليعطينى ثباتاً فيه وصلابة روحية، فأتقبل كل إهانة كعلاج لضعفى وعندما يكمل العلاج، لا أعود أنزعج من أية إهانة. وإن لم تكن الإهانة تنبيهاً لى عن خطايا محددة سقطت فيها ولاحظها الناس، فأهانونى من أجلها، فإن الإهانة ستكون تذكيراً من الله لخطاياى الخفية، التى لا يعرفها الناس والله يريدنى أن أتوب عنها. ولذا فإنى أتقبل كل إساءة؛ لأنها دوائى.

إن الإهانة هى طريقى إلى الاتضاع، وكلما احتملتها تعرفنى ذاتى، حتى لو احتملتها بتغصب فى البداية، فإنى مقبول أمام الله ويساعدنى، حتى أتقبلها برضى وشكر.

6- فضائل من حولى :

إذا عرفت بالتوبة مدى ضعفى واحتياجى، سأبحث عن الله، ليس فقط فى الصلاة والكتاب المقدس، بل فى فضائل كل من حولى؛ لأتعلم منهم كيف أعود إلى الله.

فى البداية سأنجذب إلى فضائل الآخرين، التى أحتاجها بشدة؛ لسقوطى فى الخطايا المقابلة لها، فألاحظ سلوك الآخرين، الذى أشتاق أن أقتدى به، فإن كنت غضوباً، سأنجذب إلى الهادئين وإن كنت نجساً، سأنبهر بالطاهرين، فيرفعنى هذا من شرى، وأشعر أنى أقل جميع الناس وأطلب معونة الله، فيسندنى؛ لأنه معين المتضعين.

وأمام فضائل الآخرين ستنكشف خطاياى أكثر من ذى قبل، وينفتح قلبى للبحث عن كل فضيلة، فأكتشف أن الفضائل سلسلة كل منها يؤدى للآخر، فأحب الفضيلة فى كل صورة؛ لأنى ساقط فى خطايا متنوعة، فحب الفضيلة يعمق اتضاعى.

7- تبشيرى بإلهى :

تذوق التوبة والاتضاع يفرح قلبى؛ لأنى بهما أعاين الله، إذ أنه يسكب بروحه على المتضعين ويسرع إلى التائبين.

وحينئذ تتحرك أحشائى نحو المنشغلين بالدنيا وأشتاق أن يعرفوا إلهى، الذى يقبل كل التائبين إليه ويريد أن يعيد الكل إلى طبيعتهم الأولى النقية، ولأنه خالق الكل، فهو يحب الكل ويود أن يكونوا له بنيناً.

فبسلوكى المتضع بين الناس ومحبتى للفضيلة وابتعادى عن الخطية، أبشر الكل لمعرفة الله الساكن فىَّ، ثم يفتح الله لى باباً – إن أراد – لأكلمهم بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة عن محبته.

وكلما تكلمت عن إلهى الحنون على المتضعين ودعوتى الكل بالتمتع به، يزداد شعورى بأهمية الاتضاع، فأثبت فيه.

ارتبط هذا الطفل بالكنيسة ومدارس الأحد وأحب الصلاة والتناول من الأسرار المقدسة، وعندما كبر رُسم شماساً، ففرح جداً وكان يواظب على حضور القداسات.

اهتم هذا الصبى بحضور دروس الألحان وكان معلم الكنيسة هو الذى يعلمه، فتذوق حلاوة الألحان الكنسية، مما زاد ارتباطه بالكنيسة.

صار هذا الصبى شاباً وبدأ يختلط بأصدقاء بعيدين عن الكنيسة وقلت علاقته ومواظبته على القداسات والاعتراف والتناول وكل اجتماعات الكنيسة. وظهر ذلك على سلوكه، فصار تدريجياً يشبه أهل العالم.

تعلم شرب السجائر، ثم بعدها بدأ فى تعاطى المخدرات، حتى ابتعد تماماً عن الكنيسة وكل أصدقائه الروحانيين وفشلت كل المحاولات فى إعادته إلى الكنيسة.

انتهز هذه الفرصة بعض أصدقائه وبدأوا يشككونه فى إيمانه بالمسيح، فتأثر بهم تدريجياً وأخذ يفكر فى إنكار إيمانه.

سمع أب اعترافه بما تطور إليه، فحاول مرة أخرى أن يلتقى به ولكنه رفض وتهرب منه، وأخيراً أستطاع أن يقابله، فعامل أبونا معاملة جافة جداً وأصر على ترك الإيمان.

ارتفعت الصلوات من أجله من كل أقاربه وأحبائه ولكنه تحرك فى طريق ترك المسيحية.

بدأ إجراءات تغيير إيمانه ومن ضمن الخطوات أن يقابل أحد الكهنة، لمحاولة تنبيهه للرجوع عما عزم عليه، فرفض مقابلة الكاهن، ثم عندما قابله أصر على موقفه ورفض سماع أى كلام من الكاهن.

ازدادت الصلوات من أجله، سواء من أحبائه، أو الكاهن الذى قابله وأيضاً من أب اعترافه، الذى وضع الموضوع على المذبح فى قداسات كثيرة، طالباً معونة الله.

فى خطوات تغيير إيمانه قابل المسئولين وبدأوا يعلمونه ماذا سيقول، وقالوا له تقول أولاً كذا، ثم كذا، ثم كذا، وكان الذى يكلمه يثنى إصبعه الصغير (الخنصر)، ثم الذى يليه، ثم الإصبع الثالث، وفجأة وقف الشاب وقال لا أريد أن أترك دينى، فتعجب الكل، وسألوه عن السبب، فأصر وقال أنا مسيحى وسأظل مسيحى.

حاولوا التفاهم معه وإقناعه، ولكنه رفض بشدة وطلب ان ينصرف ولا يكمل الإجراءات، وفشلت كل وسائل إقناعه وخرج من المكان، مسرعاً إلى أب اعترافه.

فرح أبونا جداً برؤية هذا الشاب وتعجب فى نفس الوقت وسأله عن سبب حضوره، فشرح له كيف سار فى الإجراءات، حتى وصل إلى الخطوة التى سيعلن فيها إيمانه الجديد، وأخذوا يعلمونه ماذا سيقول، وعندما وجد من يعلمه يثنى إصبعه الأول، ثم الثانى، ثم الثالث؛ ليعرفه خطوات هذا الإعلان، انفتحت عينيه الداخلية،

وتذكر كيف كان قديماً منذ سنوات طويلة، يجلس فى دروس الألحان والمعلم يعلمه هزات اللحن، ويثنى إصبعه الأول، ثم الثانى، ثم الثالث، ليعرفه أن هناك ثلاثة هزات فى النغمة وانتبه إلى أن المكان الذى يجلس فيه ليس مكانه، بل مكانه الحقيقى فى الكنيسة والقداسات والألحان وكل ما يعرفه عن المسيح، وشعر أنه يريد أن يجرى بسرعة إلى الكنيسة، التى فيها حياته وأعلن ذلك لمن حوله، فتعجبوا ولم يفهموا سبب هذا التغيير المفاجئ وعبثاً حاولوا إقناعه، حتى استطاع أن ينصرف ويعود إلى الكنيسة.

وعند قدمى الكاهن رجع هذا الشاب واعترف بكل خطاياه بدموع كثيرة وعاد للتناول من الأسرار المقدسة وحياته الأولى، كشماس محب للكنيسة وألحانها وكل ما فيها.

الفصل الثالث
التجـــرد

الفصل الثالث
التجــرد

العـالم كلــه يجـرى وراء محبــة القنيــة والـشيطان يحـرك الإنسان المعاصر للتعلق بالاختراعات الحديثة وتملك كل شئ جديد وبهذا يبعد الإنسان تماماً عن الاتضاع، فكيف يؤدى حب التملك إلى الكبرياء وكيف نقتنى الاتضاع بالتجرد ؟

1- تـرك الـزائـل :

إنى أعلم جيداً إن كل ما فى العالم سيفنى، مهما كان جذاباً، أو مبهراً، أو يبدو أنه قوى ومؤثر فيمن حوله، فقد زالت الممالك وتوارى الجبابرة، فبالتالى لماذا أتمسك بالماديات الزائلة؟

إن تقلـب الماديـات يعلـن عـدم اسـتقرارها وزوالهـا، فلمـاذا أنخدع بجمالها وقوتها وهى تتغير أمام عينىَّ ؟

إن التجرد يخلـصنى مـن الزائـل؛ حتـى أتفـرغ للبـاقى، كمـا أوصـانا المـسيح "إعملـوا لا للطعـام البائـد بـل للطعـام البـاقى للحيـاة الأبدية" (يو6: 27).

فأنا لا أريد أن أتعطل عن هدفى وهو الملكوت، بل أتمنـى أن أتمتـع بجمـال الـسماء وأنـا علـى الأرض؛ لـذا فالحكمـة الحقيقيـة هـى الـتخلص مـن الزائـل للتمتـع بـالله "أطلبـوا أولاً ملكـوت الله وبـره" (مت6: 33).

2- رفض الخداع :

إن الماديات يجملها الشيطان، فيجعلها جذابة، بل مبهرة، حتى يخدعنى ببريقها، فأجرى وراءها وألهث ولكن عندما أحصل عليها لا تشبعنى واكتشف فراغها.

ويتحايل الشيطان، فيقدم الجديد كل يوم من الماديات؛ حتى أظل مخدوعاً، متوقعاً ان أجد إشباعاً جديداً، مع إنى لم أشبع من أى شئ مادى، سبق الشيطان وأغرانى به. وأظل هكذا إلى أن تنبهنى أنت يا رب، فأستيقظ من غفلتى.

ويوهمنى الشيطان أيضاً، بأن الماديات احتياج ضرورى، ويضخم حجمها، حتى تملأ كل وقتى، مع أن جسدى لا يحتاج إلا القليل جداً منها. ويقدم الشيطان الأكاذيب تلو الأكاذيب؛ لأنه الكذاب وأبو الكذاب (يو8: 44). وبعدما يسيطر الشيطان علىَّ أرددها على أنها حقائق، مع أنها عكس وصيتك لى يا الله، التى تعلن الحق لى.

3- سبب الشهوات :

يبدأ الشيطان بتقديم الماديات كاحتياجات عادية للجسد، ولكنه مع الوقت يثيرنى؛ لأتعلق بشهوتها، فتسيطر علىَّ ولا أستطيع تركها، مع أنى لو ارتبطت بالله، يسهل علىَّ التخلص من عبوديتها، فاستخدمها وقتما أريد وأتركها عندما لا أحتاج إليها.

كلما تعلقت بالشهوات، وازدادت ممتلكاتى، تدب فىَّ ثقة زائفة، مبنية على الماديات، فأتكبر وأبتعد عن الله. وفجأة تنهار هذه الماديات، فأسقط فى اليأس ومع أن هذا شئ متوقع؛ لأجل تقلبات العالم ولكنى أتناساه، أو ينسينى الشيطان إياه؛ لأظل منغمساً فى شهواتى. وعندما تذلنى الشهوة، أحاول التعبير عن

قوتى بالكبرياء وإدانة الآخرين، أو التحكم فيهم، وهكذا أتقلب بين يدى الشيطان من خطية إلى أخرى، وأفقد علاقتى بالله حبيبى.

4 – أصل النزاعات :

العالم كله يجرى وراء الماديات، خاصة أنه بعلم الدعاية زادت الإغراءات، والمعروض دائماً أقل من المطلوب، فيحدث صراعات وتطاحن بين الناس؛ للحصول على هذه الماديات، ويدين الإنسان غيره، بل تسوء العلاقات وتنقطع أحياناً فى خصام لأجل الماديات.

ولكن ضبط الإنسان نفسه بالتجرد يجعله، ليس فقط حراً من عبوديتها، بل أيضاً يحيا فى سلام مع من حوله، ويستطيع حينئذ أن يحب الكل ويتعلم من فضائلهم، فيصبح متضعاً.

الإنسان المتضع يستطيع أن يثق فى نفسه، المتكلة على الله، أكثر من غيره، فيستطيع حينئذ أن يتجرد ويتنازل عن بعض حقوقه؛ لكسب الآخرين وهو يشعر أنهم أحباؤه، بل وأفضل منه.

وبالتجرد يحيا الإنسان فى هدوء، فيستطيع أن ينمو فى علاقته بالله، فيشعر بضعفه ويتضع أمامه وأمام الكل.

5- مصدر الانشغالات :

من الطرق السهلة التى يضيع الشيطان بها الكثيرين هى الانشغالات، فيلهيهم، دون جهد، عن الله، ومع الوقت تفتر المشاعر ويضعف الإنسان، فيحاربه إبليس بخطايا كثيرة ولا يستطيع مقاومته.

الانشغالات تضيع من الإنسان هدفه، فينتقل من هدف إلى هدف آخر ولا يستريح، وينسى حاجته إلى الاتضاع؛ وتعلم كل شئ من الله.

والإنشغالات توهم الإنسان أنه مهم جداً، فيرى نفسه أكبر من حجمه ويسقط فى الكبرياء؛ لذا فضبط الانشغالات – عن طريق التمسك بقانون روحى – ينقذ الإنسان من الضياع.

6- قوة الإرادة :

إن ما يحرك الإنسان، ليس عقله، أو عواطفه، أو آية قوة أخرى، بل هى إرادته، فإن كانت قوية، يستطيع اقتناء كل الفضائل بنعمة الله، ومن أهمها الاتضاع.

الإنسان يشعر بضعفه أمام العالم الواسع، فيحاول أن يساند نفسه بكثرة الممتلكات. ولا يستطيع أن يتحرر من محبة القنية، إلا من أحب الله وشبع به، فلا يحتاج إلى شئ من العالم وهذا يستدعى جهاد كثير، تقوده الإرادة القوية.

إن كان إبليس يحارب الإنسان بشهوة الماديات والكرامة، فالتغلب على أولهما وهو التعلق بالماديات، يجعل الطريق سهلاً إلى الاتضاع، وبالتالى ينفتح الباب للأعماق الروحية.

7- انطلاق الروحيات :

إن التجرد والاتضاع ليسا هدفين فى حد ذاتهما ولكنهما وسيلتين للتمتع بعشرة الله.

والانجذاب إلى محبة الله يساعد الإنسان على ترك كل شئ، وكلما تذوق الإنسان حلاوة وجمال الله، تسقط عنه كل شهوة، وما يعمله فى البداية بجهاد وتغصب، يعتاده مع الوقت، فيتقدم فى طريق التمتع بالله.

إن روحك لن تستريح إلا فى أحضان الله، فساعدها أن تنطلق تدريجياً من سجن الجسد؛ لتتمتع بالاستقرار الجزئى على الأرض فى محبة الله، وبالتالى تحيا أنت السعادة الحقيقية.

تعرض المسيحيون فى الصين، فى فترة القرن العشرين لاضطهادات شديدة، تصل إلى الاستشهاد، وكانت أسرة هذا الطفل، إحدى الأسر التى تعرضت إلى اضطهاد شديد، فاستشهد الأب والأم، ولم يبق سوى هذا الطفل، الذى استطاع الهرب.

عاش هذا الطفل بلا مأوى، أو طعام، أو ملبس ولم يستطع أحد أن يساعده، خوفاً من التعرض للاضطهاد والموت، فكان ينام فى الشوارع، أو أحد الزوايا، وكان يقتات من فضلات الطعام، الملقاة فى أكوام القمامة، فعاش، ليس فقط التجرد، ولكن كانت معاناته العظمى هى البرد والجوع.

استمر هذا الطفل يصارع الحياة بنفسية محطمة : لأنه رأى والديه يقتلا أمام عينيه بعد عذابات شديدة. وعاش الوحدة والعزلة محروماً من كل حنان؛ لخوف الكل أن يقتربوا إليه.

وسط هذه الآلام والتجرد الشديد، قابل طفلنا رجلاً، نام بجواره فى أحد الشوارع، وتعرف الرجل على الطفل وعرف ظروفه وعرفه بنفسه، أنه مسيحى، تعرض لاضطهادات شديدة، وألقى فى السجن واستطاع الهرب منه، وهو أيضاً بلا مأوى، أو طعام، ويعانى مثله من حياة العزلة، بل معرض للقبض عليه فى أى وقت.

عاش الإثنان فترة من الزمن يحاولا أن يجدا طعامهما بصعوبة، أو يقدما بعض الخدمات الصغيرة؛ ليحصلا على القوت الضرورى. وكانت تربطهما المعاناة الواحدة، شعر الطفل بحنان افتقده منذ مدة، وشعر الرجل برفيق صغير يتألم مثله؛ لنفس الأسباب، أى بسبب اعتناقهما المسيحية.

خطرت على بال الرجل – فى أحد الأيام – فكرة عرضها على الطفل، وهى السفر إلى غرب الصين، فقد يجدا هناك عملاً، فى مناطق يسود عليها الجهل؛ لأن هذا الرجل كان يجيد الأعمال

الميكانيكية وبهذا يكون لهما طعام وحياة أفضل، ووافق الطفل على السفر معه، فهو المصدر الوحيد له للحنان والمشاركة.

فى طريق السفر حل بهم الليل، فبحثا عن مكان؛ ليناما فيه، فوجدا فندقاً يسمى الفندق الفاخر، ولما دخلاه، وجدا أنه مكان لنوم الخيل، وليس فيه إلا أرض قد قسمت إلى أقسام وعلى الجانب كوم من قوالب الطوب. أما باب الفندق فكان مصنوعاً من البوص، ترفعه لتدخل، ثم تعيده إلى مكانه؛ ليسد فتحة الباب؛ لعله يقلل الهواء البارد الداخل إلى المكان، أما سقف الفندق، فكان أعواد من البوص. وعلم من أصحاب الفندق أنهم سيقدمون لهم طبق من المكرونة، وعلفاً للحصان – إذا كانوا يمتلكون واحداً – وقالب من الطوب؛ ليسند عليه كل منهما رأسه عند النوم، وبالطبع سيناما على الأرض، بلا غطاء، فقبلا الاثنين، ودفع الرجل مقابل المبيت فى هذا الفندق الفاخر !!!

حاول الطفل أن ينام ولكن شدة البرد منعته من ذلك؛ خاصة أنها كانت إحدى ليالى الشتاء. وفى هذه المعاناة، تذكر الطفل ما حدث معه فى يوم استشهاد والديه، وكيف أمسكوا بأبيه أمام عينيه وجردوه من ثيابه وكيف انهالت الجلدات على جسده وسالت الدماء منه، وكذلك والدته، التى خلعوا ثيابها وضربوها ضرباً مبرحاً، بعد أن لطخوا وجهها بالحبر، ثم قتلوهما أمام عينيه، وبدأت الدموع تناسب من عينى هذا الطفل المسكين الوحيد، بلا أب ولا أم، راقداً على الأرض الصلبة وقالب الطوب، والبرد الذى يأكل جسده الضعيف.

شعر الرجل بأن رفيقه الطفل يتحرك ولم ينم، بل سمع بعض الشهقات تصدر منه ولاحظ دموعه المنسابة، فاحتضنه بحنان أبوى، وسأله عما يفكر فيه، فحكى له كل شئ.

قال الرجل لطفلنا ألا تعرف تاريخ اليوم، فقال لا، فقال له إن اليوم هو ليلة عيد الميلاد المجيد .. فى هذه الليلة ولد مسيحنا فى مذود للبقر. إن المكان الذى ولد فيه إله الآلهة أحقر من هذا المكان، ولم يكن يستر جسده الصغير إلا قطعة من القماش، قمطته به أمه، وكانت رائحة المكان مثل مكاننا هذا؛ لأجل فضلات الحيوانات وعاش مسيحنا فقيراً، بل تعرض للهرب من وجه هيرودس، كما أننا هاربان من وجه المضطهدين وبعد معاناة حياة يتهدده فيه القتل، فى كل وقت، من الكهنة والفريسيين عروه وجلدوه، ثم سمروه على خشبة الصليب ومات ليفدينا، ثم قام؛ ليقيمنا معه، فى بهجة الحياة الجديدة.

أثناء كلام الرجل عن معاناة المسيح، مرت بذاكرة طفلنا ما عاناه والده وما يعانيه هو وشعر أنه ليس وحيداً، بل مسيحه معه، يشاركه آلامه، بل سبق واحتملها من أجله، وهو الآن يشارك المسيح فى حمل الصليب، بدأ قلبه يهدأ ويتعزى، وواصل الرجل كلامه عن محبة المسيح الفادى وقربه من أولاده المتألمين، فتشدد قلب الطفل، بل بدأت الحرارة تسرى فى جسده، وسط الجو البارد.

كانت هذه الليلة أحلى ليلة فى حياة طفلنا، فقد ساعدته على قبول التجرد والألم برضا وفرح، إذ أنه يحمل الصليب، مثل سمعان القيروانى خلف المسيح وأعطته قوة، ليثبت وجوده وينجح فى حياته، شاعراً دائماً أن الله معه.

الفصل الرابع
الخفـــاء

الفصل الرابع
الخفـــاء

ينـشغل النـاس بإظهـار أعمـالهم والتحـدث عـن أمجـادهم؛ لعلهـم يكتـسبون ثقـة فـى أنفـسهم مـن إعجـاب الآخـرين بهـم، بـل ويتـسابقون فـى ذلـك ويقـاطعون بعـضهم بعـضاً، فـى حـين يأمرنـا المسيح بالخفاء فى عبادتنا وتعاملنا مـع الآخرين، فيدعونا للصلاة والصوم والصدقة فى الخفاء (مت6). لماذا ؟

لأن هذا الخفاء يثبتنا فى الاتضاع، كيف ؟

1- هـرب من المديـح :

انشغال الإنسان بمديح الآخرين يزعج حياته، لما يلى :

أ – يشغله عن اكتشاف أخطائه وإصلاحها.

ب – يعرضه للتكبر على الآخرين، الذين هم أقل منـه، فيفقد نعمـة الله المساندة له.

جـ– يضطرب إذا قلل النـاس من مدحـه، أو أهملوه بعض الوقت، أو تغيروا فى آرائهم، بسبب أغراضهم الشخصية.

د – تعلقـه بـسماع المـديح يجعلـه إذا لـم يمدحـه أحـد يـستجدى المديح، فيتكلم عن نفسه ويتذلل أمـام النـاس؛ ليسمع كلمـة وتعمى عينيه الكبرياء، فلا يشعر بالمهانـة التـى وصل إليهـا،

فى حين يشعر الناس بمدى ضعفه وذله، لذا فمن يؤمن بالعمل فى الخفاء يحرر نفسه من سلطان التعلق بمديح الناس، فينطلق فى كل عمل صالح.

2- تعمق فى التوبة :

عندما يتعود الإنسان الخفاء فى حياته، يجد فرصة فى الهدوء، حتى يحاسب نفسه ويكتشف خطاياه. وفى هذا السكون أيضاً، يستطيع أن يشعر بجرم خطاياه، فيندم عليها بانسحاق، بل وبدموع أيضاً، فيزداد تعمقه فى التوبة.

وعلى قدر حزن الإنسان وضيقه من خطاياه، يتحرك فى الاتجاه المضاد، مقترباً إلى الله، فيبدأ حياة جديدة، مملوءة نشاطاً؛ ليعوض ما فاته. وبهذا تكمل توبته، عندما يزداد تنافره مع الخطية ونموه فى محبة الله. كل هذا بفضل هدوءه الناتج من حياة الخفاء، ويزداد أيضاً اتضاعه كل يوم؛ لأجل خفائه وتوبته.

3- التشبه بالله :

إلهنا القوى القادر على كل شئ لا يحتاج أن يظهر ذاته؛ ليأخذ مديحاً من أحد، فهو يعمل بتدبيره الإلهى فى هدوء، سواء لاحظ الناس ذلك، أم لم يلاحظوا. ويظهر نفسه فقط من أجل احتياج الإنسان، فأحياناً يظهر عمله للشخص الذى عمل معه؛ حتى يؤكد له محبته ويطمئنه، أو يظهر عمله أمام الكل؛ ليثبت

إيمان أولاده. ولكن معظم أعمال الله تتم فى الخفاء، كما يعلن لنا الكتاب المقدس ذلك (سيراخ16: 22).

والمسيح فى حياته على الأرض اعتنى بالكثيرين فى الخفاء، مثل اهتمامه بالسامرية وبحماة سمعان وإيمان توما، رغم ازدحام الجموع حوله، بل قال فى وضوح "تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت11: 29). وكان المسيح يختفى للصلاة منفرداً، بالإضافة إلى انفراده بتلاميذه مرات كثيرة.

الله أيضاً يعمل فى الخفاء مع أولاده؛ ليعلن محبته الشخصية لهم، ولكنه يتمجد أمام من يحبونه ويقدرونه، أما من يستهينون به، فيحجب عمله عنهم، كما يقول الحكيم سليمان فى سفر الأمثال "مجد الله إخفاء الأمر" (أم25: 2).

فإن كان الله يميل للخفاء فى أعماله ونحن أولاده؛ إذاً لنثق فى مساندته لنا ونتضع عند قدميه، ونكتسب ثقة فى أنفسنا، فنميل إلى الخفاء؛ لنتمتع بقوته العاملة فينا.

4- إنشغال بالمحبوب :

من أحب الله ينبهر بجماله، فلا يعود يهتم ببريق الناس والعالم، بل يشعر أن الماديات تعطله عن الله، فيهرب من الانشغال بها. ورغم محبته لكل من حوله، لكنه يحبهم من خلال الله ولأجله، ولو أهمله الناس يفرح؛ لأنهم بهذا يتركوه يتفرغ لمحبة الله.

إنه يحب العالم كله ويفرح برؤية الناس، وكل الأحداث يرى فيها الله، فهو أبعد إنسان عن الاكتئاب، ولكنه يميل إلى

الخفاء؛ ليتمتع بإلهه المحبوب؛ ويدرك فى الصلاة والتأمل ما لا يمكن إدراكه خارجهما، فيكلم الله ويسمعه من خلال الأمور المحيطة به ببساطة، دون الحاجة إلى الرؤى والأحلام.

ما أجمل حياة الخفاء، إذ هى الوجود المباشر مع الله وهو متاح لكل من يريد الله وهذا هو دافع المكرسين فى الرهبنة، أو فى العالم، حتى يجدوا الله ويتمتعوا بعشرته فى الخفاء. وإن كانوا يرونه فى الخدمة ولكن تمتعهم المباشر فى الخفاء يعلو فى جماله عن كل تعبير.

5- تنمية الفضائل :

إن الخفاء فرصة للإنسان حتى يكتشف جمال الفضائل، التى يتأملها فى الله وفى القديسين، فيشتاق إليها، وإذ يفحص نفسه يكتشف مدى حاجته إليها وفى الغالب يشعر بحاجته إلى فضيلة معينة، فيسعى لاقتنائها.

بعد اكتشاف الإنسان لضعفه فى فضيلة معينة، يسعى بتداريب وإرشاد روحى؛ حتى يقتنيها ويتابع نفسه بدقة فى هدوء الخفاء، فينمو تدريجياً ويتلذذ فى الفضيلة. وفى نفس الوقت يقتنى الاتضاع، إذ يرى أشواقه وطموحاته تزداد نحو الفضيلة ويرى نفسه. كلما نمى فيها، أنه ما زال مبتدئاً، فيزداد سعيه نحوها، وفى نفس الوقت يزداد نموه واتضاعه.

إن الخفاء فرصة للنمو الروحى وتكامل قوة الشخصية والنجاح فى كل جوانب الحياة. والعكس فإن الانشغال بالعالم ومباهجه، هو تعطيل لإمكانيات الإنسان ودفن وزناته فى التراب، فيحاسبه الله على إهماله.

6- إحساس بالآخرين :

عندما يستطيع الإنسان أن يسحب نفسه من ضجيج العالم وإبهارات الدعاية التى لا تنتهى، تتغير نظرته نحو الآخرين، فلا يعود ينشغل بإبهاراتهم، بل يشعر بهم وباحتياجاتهم، ليرى فى هدوء الخفاء فضائل الآخرين، فيحاول اقتنائها وحتى عندما يرى أخطائهم، يحاول علاجها بروح الحب.

الخفاء فرصة لخروج الإنسان من أنانيته، إذ يشعر بالآخرين، فينفجر من داخله ينبوع حب إلهى، يشبع هو به ويشبع الآخرين، فالذى يحيا فى الخفاء لا ينعزل عن الناس، ولكنه لا يسعى إلى الظهور وإن كان من الضرورى أن يظهر، فيظهر من أجل مجد الله ومحبته لمن حوله.

إن الذى يعيش فى الخفاء يستطيع بإرشاد الله أن يكتشف احتياجات الآخرين، التى لا يلاحظها إلا هو، فيشفق على الكل ويكون مستعداً أن يبذل حياته لمساعدتهم، متمثلاً بفاديه، ربنا يسوع المسيح.

7- لقاء بالقديسين :

كل من يسير خطوات فى طريق الخفاء، تستنير عينيه، فيرى ليس فقط الله العامل فى الخفاء، بل أيضاً كل القديسين، الذين أحبوا الخفاء؛ ليتمتعوا بعشرة الله. وفى صداقته لهم يكتشف أبعاد جديدة فى حياة الخفاء، فيحبها؛ ليزداد تمتعه بالله.

وعندما يلتقى بالقديسين ويحبهم من خلال قراءة سيرهم وعمل تماجيدهم والتشفع بهم، يشعر بضآلته وهو يسير خلفهم نحو الله، فيثبت فى اتضاعه.

وفى لقائه مع القديسين يزداد تعلق نظره بالله، وأمامه يذوب الإنسان فى داخله ويشعر أنه لا شئ كلما تعلق بالحب الإلهى، فيحيا فى ملحمة الحب والاتضاع كل أيامه.

ترهب هذا الشاب فى أحد الأديرة وكان يميل إلى الهدوء، فيمارس ممارساته الروحية دون ضوضاء وسط الآباء الرهبان، ويميل إلى الخلوة والقراءة والتأمل.

لم يكن شخصاً جذاباً فى كلمات لطيفة، أو معسولة، فلم يستطع أن يجتذب أنظار الناس، فأهمله الكثيرون ولكن كانت علاقته طيبة بالجميع.

مع مرور الوقت زاد إهمال الرهبان له، حتى لم يعد أحد يهتم بوجوده فى كل تجمعاتهم، ولكن كان يلاحظ عليه السلام الداخلى، الذى كان يظهر فى هدوئه وابتسامته، فلم ينزعج قط من إهمال الناس له وظل يعاملهم بكل محبة، رغم أن كل واحد منهم كان يفضل الآخرين عنه. وكثيراً ما كانوا ينسونه عند توزيع أى شئ على الرهبان. وإذا تجمعوا للصلاة، قلما كانوا يعطونه فرصة لقراءة شئ بينهم، ولكنه ظل بشوشاً هادئاً.

لاحظ رئيس الدير إهمال الرهبان لهذا الراهب، فحاول توجيه بعضهم للاهتمام به ولكن لم يدم اهتمامهم وظل مهملاً، وفى نفس الوقت استمر فى هدوئه وسلامه.

تعجب رئيس الدير من احتفاظ هذا الراهب بسلامه وشعر أن داخله سر، فصلى إلى الله؛ ليكشفه له.

فى أحد الأيام بينما كان الرهبان مجتمعين لدراسة الكتاب المقدس، دخل هذا الراهب وظل صامتاً يسمع باهتمام، حتى انتهى الاجتماع وانصرف كل واحد إلى قلايته.

ظلت عينى رئيس الدير تراقب – فى هدوء – هذا الراهب، فوجده لم يرجع إلى قلايته، بل دخل الكنيسة، فسار الرئيس وراءه

ودخل الكنيسة واختفى فى أحد أركانها، فوجد هذا الراهب قد تقدم نحو باب الهيكل ووقف يصلى ببساطة الصلاة الربانية.

فى الهدوء الكامل الذى فى الكنيسة، سمع رئيس الدير هذا الراهب يقول :

– أبانا الذى فى السموات

+ فسمع صوتاً يرد عليه ويقول : له نعم يا حبيبى

– ثم قال الراهب ليتقدس إسمك

+ فرد عليه الله قائلاً : بأعمالك أنت وكل من يحبوننى، أتقدس فيكم.

– وأكمل الراهب الصلاة، فقال ليأتِ ملكوتك.

+ فأجاب الله، إطمئن لقد أعددت الملكوت لك ولكل اخوتك الذى يحبوننى.

استمر الراهب فى الصلاة والله يرد عليه وكان الرئيس فى تعجب، بل فى ذهول وهو يسمع هذا الحوار بين الله وهذا الراهب، الذى يبدو أنه أقل من حوله من الرهبان وأقل من الكل. وعلم حينئذ سر هدوئه وسلامه وتمسكه بالخفاء، وهو أنه يتمتع بعشرة إلهية لا يعبر عنها، فكيف يخرج منها ليكلم أى إنسان ! بل شعر أن هذا الراهب كان متمتعاً بهذا الإهمال، حتى ينفرد بالله ويسمعه كل يوم.

الفصل الخامس
التلمـذة

الفصل الخامس
التلمــذة

يشعر الإنسان بقيمته على قدر ما يملك من أموال، أو مركز، أو علم وقد يسوقه هذا إلى الكبرياء. أما المتضع فهو يشعر أنه اقل من الكل ويتمنى أن يتعلم من كل أحد؛ لذا فهو دائماً فى مكان التلميذ والكل معلمين له. فكيف تقودنا التلمذة إلى الاتضاع ؟

1- إحساس بالاحتياج :

إن ممارسة التلمذة على المعلمين الروحيين، بل على كل إنسان تزيد فى داخل المتعلم الإحساس بالاحتياج؛ لأن الإنسان إن ابتعد عن التلمذة قد يوهمه الشيطان بالاكتفاء وعدم الحاجة إلى الآخرين؛ حتى يسقطه بعد هذا فى الكبرياء، أما من يتتلمذ، فتنفتح أمامه آفاق جديدة من الفكر الروحى ويشعر بحاجته إليها، وهكذا كلما ازداد فى التلمذة، زاد احساسه بالاحتياج وبهذا يكون متضعاً دائماً.

إن المحتاج يشكر كل من يعلمه ويسعى للتعلم فى كل فرصة، فيقبل التوجيه. ولأن الإنسان لا يستطيع أن ينجح فى التداريب إلا بنسبة، فيشعر أنه محتاج دائماً إلى إرشاد؛ ليستكمل نجاحه فى التداريب الروحية.

وهكذا يتمسك بالتلمذة؛ لأنها تحرك حياته فى طريق الله ويثبت فى الاتضاع.

2- إخلاء للمشيئة :

من يتتلمذ يشعر أنه اقل ممن يتعلم منهم، فيقبل رأى المعلم ويتنازل هو عن رأيه. وباستمرار التلمذة يتعود الإنسان ترك رغباته؛ حتى يخلى مشيئته من أجل الله؛ لينال مشيئة أفضل، وأكمل، هى مشيئة الله على لسان من يعلمه، فيتقن أعلى تدريب فى المسيحية، أى التدريب الذى أظهره المسيح فى بستان جثيمانى، عندما قال فى صلاته "لتكن لا إرادتى بل إرادتك" (لو22: 42).

وإخلاء المشيئة يُشعر الإنسان بمدى ضعفه واحتياجه، فينفتح قلبه للتعلم من كل أحد، بل أيضاً من كل الخليقة، التى تبدو أقل منه، مثل الحيوانات والنباتات والحشرات، فيصل إلى الاتضاع الحقيقى، وهو أن يضع نفسه تحت الخليقة كلها.

3- تعلم خبرات :

التلمذة هى قبول خبرات كثيرة واختصار للزمن، فما حصَّله المعلم فى سنوات كثيرة، يقبله التلميذ فى فترة قليلة، وهكذا يتقدم التلميذ بسرعة فى طريق محبة الله.

بالتلمذة يرى الإنسان التنفيذ العملى لوصايا المسيح، فيثبت إيمانه بالوصايا ويقبل حياة كاملة معاشة مع الله ويشعر مع كل تلمذة أنه يبدأ حياة جديدة، أكثر عمقاً، هى الإنجيل المعاش، أى يتحول من المعرفة النظرية إلى التلذذ بالحياة العملية مع الله.

4- إلتصاق بالله :

من يسعى نحو التلمذة يطلب الله من خلال المعلمين، وكلما تتلمذ تستنير عينيه، فيتضح الله أمامه ويحب معلميه جداً، إذ يرى فيهم صورة لله.

ومن خلال التلمذة يحيا الإنسان حوار مع الله عن طريق المعلم، فيسأل التلميذ ويسمع إجابة الله على لسان المعلم؛ لأن التلميذ يصلى قبل أن يقابل المعلم، ويطلب سماع صوت الله على لسان معلمه، وإذ يرى الله استعداد التلميذ، يفيض عليه كثيراً مهما كان ضعف المعلم، فيتعلم الإثنان من الله.

5- إصلاح الأخطاء :

الذى يُقبل على التلمذة يتقبل التوجيه، فيكتشف أخطاءه ويجاهد لإصلاحها بإرشاد معلمه، فيتخلص من خطاياه ويعالج قصوره فى الجهاد الروحى، فيتقدم فى حياته مع الله.

من خلال التلمذة، أى الإصلاح المستمر لحياة التلميذ، يشعر بضعفه، فيزداد اتضاعه أمام الله ومعلمه، بل ينفتح قلبه ليتعلم من كل أحد، فتزداد استنارته الروحية واكتشاف أخطاؤه ومعالجتها.

6- وحدانية الفكر :

الذى يتتلمذ ينال فكر الله من خلال المعلم، فيتنازل عن أفكاره الشخصية، وبالتالى لا يتفق فقط مع معلمه، بل مع الله نفسه، فيسير مطمئناً فى حياته الروحية.

والذى يخضع لفكر الله يتلاقى بسهولة مع باقى أخوته المؤمنين، الساعين نحو فكر الله، بل يتحد بهم فى جسد المسيح الواحد، أى الكنيسة.

ويشعر المتتلمذ أنه صغير جداً ومبتدئ أمام اتساع فكر الله، المحتاج أن يتعلم منه كل يوم، من خلال المرشد الروحى، فيزداد اتضاعه على مر الأيام.

7- دوام النمو :

التلمذة طريق النمو الروحى، إذ تفتح آفاق جديدة فى معرفة الله، فتحرك أشواق التلميذ وطموحاته، فيسعى للدخول إلى الأعماق ولا يكتفى بما يعرفه.

وكلما جاهد فى حياته الروحية، ينعم عليه الله بلذة فى عشرته، تدفعه سعياً نحو الأمام؛ ليذوق حلاوة جديدة، تدفعه هى الأخرى نحو معرفة الله، وهكذا يظل فى نمو دائم.

عندما خرج القديس الأنبا أنطونيوس ليحيا حياة الوحدة مع الله، شعر أنه غير أهل لهذه الحياة ولكنه مشتاق إليها، فاهتم أن يتتلمذ على كل من سبقوه، ولم يكن قد سبقه أحد فى الدخول إلى البرية، ولكن كان كل من يريد أن يتوحد، يقيم فى عشة صغيرة خارج مدينته، فجال القديس على هؤلاء الشيوخ الذين سبقوه؛ ليتعلم من كل أحد فضيلة، تنفعه وتعلمه كيف يسير فى طريق محبة الله.

ثم أرشده الله للدخول إلى البرية، فانزعج الشيطان منه وحاربه حروباً كثيرة، ساانده الله فيها وانتصر.

وانفرد عشرون عاماً فى حصن مهجور، لم يرى فيها وجه إنسان، رأى فيها الله وتتلمذ على يديه كثيراً.

ولكنه كلما تعمق فى معرفة الله، ازداد اتضاعاً وتحركت أحشاؤه نحو التلمذة والتى كانت تعمق اتضاعه. ولما رأى الله أشواقه للتلمذة كلمه وقال له : إنه فى مدينة الإسكندرية، يحيا إنساناً بسيطاً، يعمل خياطاً، وقد فاقه فى طريق الحياة الروحية.

طلب أنطونيوس العظيم معونة الله ونزل إلى الإسكندرية؛ ليتعلم من هذا الخياط القديس، وأرشده الله إليه، فالتقى به وجلس ليتعلم منه تدبيره الروحى.

أعتذر الخياط فى البداية عن سرد أى شئ فى حياته؛ لأنه إنسان بسيط، غير متعلم، يعمل فى هذه الحرفة؛ ليجد قوته وقال أنه أقل من كل من حوله، فماذا يقول لأنطونيوس العظيم !؟

بعد إلحاح الأنبا أنطونيوس عليه، قال الخياط، أنه مع بداية كل صباح يقف للصلاة ويشكر الله على إحساناته ويسبحه ويباركه، فيمتلئ قلبه فرحاً ويشعر بسعادة لا يعبر عنها.

بعد صلاته، يجلس فى خلوة وحده مع الله ويتأمل شناعة خطاياه ويبكى عليها، طالباً غفران الله. ويقدم توبة واستعداداً للحياة الجديدة مع الله، الذى أنعم عليه برؤية نور النهار الجديد.

ثم يجلس يتأمل فى فضائل الآخرين، الذين يعرفهم فى مدينة الإسكندرية، فيتحرك قلبه شوقاً؛ لاقتناء هذه الفضائل، وفى نفس الوقت، يشعر بمدى حقارته؛ لسقوطه فى خطايا مختلفة، بل ويشعر أنه اقل إنسان فى المدينة ومحتاج لبركة الكل، فهم جميعاً أفاضل، عرفوا طريق الملكوت ويسيرون نحوه، أما هو فهو مستحق للعذاب؛ بسبب شروره، فيطلب رحمة الله بشفاعة القديسين ويتحمس لبدء جهاد جديد واستغلال اليوم الجديد؛ حتى يقترب إلى الله.

بعد جلوس هذا الخياط مع الله، يبدأ عمله وقد امتزجت دموع الفرح بنعمة الله مع دموع الندم على خطاياه، ويظل هكذا يعمل طوال اليوم.

ثم يأخذ ما حصل عليه من أموال فى هذا اليوم ليأكل منها على قدر احتياج جسده، ويوزع الباقى على الفقراء المحتاجين.

ويسرع إلى الله، لينفرد به، فى صلاة شكر طويلة وتسبيح لله على عظمته.

ثم يجلس فى خلوة ثانية؛ ليحاسب نفسه عن كل ما أخطأ فيه طوال اليوم، سواء بالفكر، أو القلب، أو الكلام.

عندما سمع الأنبا أنطونيوس تدبير الرجل فى حياته، شعر بضعفه أمام هذا القديس وقال له : إنك تشبه الصائغ الذى يشكل الذهب فى هدوء، فيصنع مشغولات ذهبية ثمينة جداً، دون أية ضوضاء، فزحام الإسكندرية لم يؤثر عليك، واستغرقت فى محبة الله، أغلى شئ فى العالم، فتتمتع به كل يوم، أما أنا المتوحد فى البرية، فلم أصل إلى شئ مما وصلت إليه.

ومضى الأنبا أنطونيوس متعزياً مما تعلمه ومنسحقاً فى قلبه؛ ليبدأ جهاداً جديداً؛ حتى يتعرف على الله، من خلال الشكر ودموع التوبة والاتضاع تحت أقدام الكل؛ لتعلم فضائلهم، فازداد اتضاعه وأيضاً لم تهدأ أشواقه نحو التلمذة حتى نهاية حياته.

الفصل السادس
الخدمـــة

الفصل الخامس
الخـدمــة

الخدمـة هـى انحنـاء العنـق لحمـل نيـر المـسيح، أى حمـل الصليب، فهى اتضاع من أجل المسيح، الذى اتضع وحمل الصليب لأجلنا. ومن خلال الخدمة، يكتسب الإنسان فضائل كثيرة، تثبتـه فـى الاتضاع. كيف ؟

1- إظهـار الـواحد :

إن هدف الخدمة هو توصيل المسيح لكل النفوس وجذب النفوس لمحبـة المـسيح. وبالتـالى تـستلزم اختفـاء الخـادم؛ لتوجيـه العيـون نحـو المـسيح. وعلـى قـدر تعلـق القلـوب بـالله، يكـون نجـاح الخدمة.

وفـى طريـق الخدمـة، يحـاول إبلـيس تمجيـد الخـادم، عـن طريـق مـديح النـاس والمخـدومين وتركيـزه علـى مهـارات الخـادم المتميزة؛ لعله يشغله عن النظر إلـى المسيح وجذب النفوس إليـه. ولكن الخادم الروحانى ينتبـه سريعاً ويتوب، فيخفى ذاتـه ويعلن أن المـسيح قـد أرسـله وأن كـل كلمـة طيبـة قـد قالهـا، هـى رسـالة مـن المسيح وكل محبـة شـعر بهـا من يخدمهم، هى حنـان من السماء وبهذا يتعلم الخادم الاتضاع وإخفاء ذاته.

وعنـدما يتـذوق الخـادم حـلاوة المـسيح، الـذى يركـز نظره عليـه، يذيقـه الله تعزيـات عظيمـة، تساعده أن ينسى نفسه ويتعلق

بالله، فيتمتع بما لا يعبر عنه، وينسحق فى داخله؛ لعدم استحقاقه كل هذا المجد.

2- فضح الضعفات :

أثناء الخدمة يظهر قصور الخادم عن إتمام تفاصيل خدمته ويضطر أن يلتجئ إلى الله : ليطلب معونته، فيشعر بضعفه وأنه عاجز عن الخدمة بمفرده، بل يختبر كيف أن الخدمة هى عمل الله وهو يشاهد ويفرح بهذا العمل.

ولا يكتفى الأمر على القصور فى الأداء ولكن تصدر من الخادم خطايا، سواء بالفكر، أو بالكلام، أو بالفعل ويتدخل الله؛ ليستر على الخادم؛ حتى لا يعثر أولاده، وقد يكتشف أمين الخدمة بعض هذه الضعفات، فيوجه الخادم، أما الخادم نفسه، فتتضح خطاياه أمام نور المسيح، فينسحق فى داخله، إذ يشعر أنه غير أهل لهذه الخدمة، فيطلب معونة الله بأكثر لجاجة.

3- احتياج الخادم :

يكتشف الخادم ضخامة مهمته، وهى توصيل المسيح لكل النفوس، إذ ينبغى أن يكون هو نفسه أولاً مختبراً للمسيح؛ حتى يستطيع أن يتحدث عنه، فيتصاغر فى اتضاع أمام الله، طالباً أن ينعم عليه بمعرفته؛ حتى يستطيع أن يحدث الآخرين عنه.

ومن ناحية أخرى، يجد كثيراً من النفوس أبواب قلوبها مغلقة ويعجز عن فتحها، فيصلى بحرارة لأجلهم، إذ لا سبيل لفتح هذه القلوب، إلا بنعمة الروح القدس. وأخيراً بعد صلوات وأصوام

وتذلل أمام الله، يفرح بعودة هذه النفوس، بل بكثيرين ممن يحيطون بها، فيشكر الله، الذى سمح ووهب له أن يرى خلاص هذه النفوس.

وفيما يسعى الخادم فى خدمته، يتمتع بجو روحى مشجع، فيتمسك بقانونه الروحى، فى الصلوات والقراءات والأصوام، ومن خلال تفاصيل الخدمة ينمو روحياً، فيفرح بالخدمة؛ لأنها قربته من الله وأنه كان بعيداً ولكن الله أنعم عليه بمعرفته.

4- تقديم الآخرين :

إذا اقتنع الخادم بضعفه وعدم استحقاقه للخدمة، فسيوجه المجد لله دائماً فى كل خدمة وأيضاً لكل أخوته الخدام المشاركين له، بل إذ اختبر ضعفه وعظمة الله، فسيشعر بعدم استحقاقه لأية كرامة، وبالتالى سيرجع المجد والنجاح فى الخدمة لإخوته، مهما كان عملهم صغيراً، فلأجلهم يتدخل الله ويبارك الخدمة، فيتمتع هو معهم برؤية الله.

وبالطبع لن ينزعج إذا مدح الناس إخوته الخدام أمامه وتناسوا عمله، إذ يثق أنه أحقر الكل، بل يساعدهم فى التحدث عن عظمة إخوته الخدام، ويقدمهم عنه ويتكلم عن خدماتهم التى يعرفها عن قرب، فيشجع إخوته ويحبونه ويزداد هو إتضاعاً.

5- خدمة الملك :

إن الخدمة مقدمة لملك الملوك ورب الأرباب ربنا يسوع المسيح فى شكل أولاده المخدومين، الذين هم أبناء الملك، أى

الأمراء، فينحنى الخادم باتضاع عند أقدامهم؛ لينال بركتهم ويشعر أنه غير مستأهل لخدمة أبناء الملك، فيكشف الله له فضائلهم ويثبت هو فى اتضاعه.

ومهما كان ضعف المخدومين، فهو يرى المسيح فيهم، إذ قال المسيح "لأنى جعت فأطعمتمونى عطشت فسقيتمونى" (مت25: 35)، فيرى المسيح فى كل محتاج، وبالتالى ينسحق قلبه، عند اقترابه لخدمة أحد هؤلاء، أى إخوة الله، سواء كانوا أطفالاً، أو عجزة، أو محتاجين بأى شكل، ويقول فى نفسه دائماً؛ من أنا حتى أخدم الملك !

6- صداقة السمائيين :

بينما يجتاز الخادم صعاب الخدمة، يحتاج لأصدقائه القديسين؛ ليساندوه بصلواتهم، فتزداد صداقته معهم، إذ يختبر معونتهم فى الشدة، فيحبهم جداً ويشعر بضعفه وهو يسير معهم فى طريق هذه الحياة.

وإذ يحب القديسين، يكتشف أعماقاً جديدة فى حياتهم، تلهب قلبه شوقاً فى محبة الله، فيزداد قلبه اتضاعاً أمام الله والسمائيين، بل وكل الناس، إذ يود أن يتعلم من كل الآباء والإخوة الروحيين، الذين حوله.

7- فداء المخدومين :

عندما يحب الخادم من يخدمهم ويحاول الاقتراب إليهم، يشعر بمعاناتهم، فيشاركهم الصلوات، بل يتقدم بروح الفداء، مثل

المسيح الذى مات عنا، فيصلى ويصوم ويقدم ميطانيات عن المخدومين؛ ليرحمهم الله، وينسحق فى دموع كثيرة ويضع أسماءهم على المذبح ويظل يلح على الله، حتى يتدخل ويريحهم. وأثناء هذا الجهاد، ينسحق جداً ويشعر بضعفه الشديد، وأيضاً يتعزى بمعية الله ومساندته وتعزياته.

وإذا وجد أحداً ممن يخدمهم متغافلاً عن خلاص نفسه، فلا يجد أمامه إلا أن يجاهد من أجله وهو ممتلئ حباً وأبوة نحوه، فيكون مثل الأربعة، الذين حملوا المفلوج ودلوه من السقف أمام المسيح، فنظر يسوع لإيمانهم، فغفر للمفلوج خطاياه وشفاه(مر2: 5).

أحبت هذه السيدة الله وارتبطت بالصلاة والقراءة والكتاب المقدس وعاشت متمتعة بعشرة الله فى الكنيسة.

تحرك قلبها لخدمة المحتاجين وخاصة الذين يعانون من ظروف خاصة، مثل الفقر وفقد الوالدين، فكانت تهتم بزيارة الملاجئ، وتسافر مسافات طويلة؛ للاهتمام بكل من تسمع عن احتياجاتهم.

كان أحباؤها يلومونها، بسبب كل ما تتحمله من متاعب، مشفقين على صحتها، أما هى فكان دافع الحب يحرها لتهتم بكل أحد، بل كانت تشعر أنها غير مستحقة أن تخدم هؤلاء المحتاجين، إذ كانت ترى فيهم المسيح، فمن هى حتى تنال هذا الشرف وتخدم المسيح! فلم تؤثر فيها هذه الاعتراضات، بل زادتها تمسكاً بالخدمة؛ التى شعرت أنها حياتها، إذ تختبر الله فيها كل يوم، فيزداد اتضاعها.

فى أحد الأيام، كانت تقود سيارتها فى الطريق، لزيارة أحد الملاجئ، ثم تعرضت لحادث، انقلبت فيه سيارتها وتجمع الناس الذين لاحظوا هذه الحادثة، ويظهر تدبير الله وعنايته، أن السيارة التى خلفها كان يقودها طبيب، متخصص فى إصابات العمود الفقرى، فلما وجدها حية تتنفس ولكنها لا تستطيع الخروج من السيارة المنقلبة، أمرهم الطبيب ألا يخرجوها بالقوة؛ حتى يأتى الإسعاف؛ لئلا يعرضها لمشاكل – حسب خبرته – تؤثر على أعصابها وفقراتها.

وصل الإسعاف وأخرجها من السيارة بصعوبة ولكن بعناية شديدة وذهب بها إلى المستشفى، وبعد الكشف عليها، وجد أنها

تعانى من ضغط شديد على الحبل الشوكى فى الفقرة العنقية السابعة، أدت إلى شلل الأطراف الأربعة.

بعد عمل الإسعافات الأولية لها، إذ لم يجدوا حلاً لمشكلتها، عادت إلى بيتها؛ لتجلس على كرسى متحرك لا تستطيع أن تحركه ولا أن تعمل شيئاً، إذ فقدت القدرة على استخدام جميع أطرافها.

قال لها أحباؤها، لقد أوصيناك كثيراً أن تريحى جسدك وهذه هى النهاية – لكثرة أتعابك – أنك فقدت القدرة على كل شئ، فكان كلامهم ثقيلاً جداً على نفسيتها وبدأ الشك فى علاقتها بالله يدخل إلى قلبها وتتذمر ولو فى داخلها.

فى أحد الأيام وجدت طفلتها تتجه نحو الثلاجة؛ لتشرب ماء، فقالت فى نفسها، أنى عاجزة عما تعمله هذه الطفلة، إذ كانت تشعر بالعطش ولكنها كان لابد أن تطلب من أحد أن يأتى إليها بماء ويسقيها.

كانت أمامها صورة للمسيح المصلوب، فنظرت إليه فى عتاب وقالت له

– لماذا تتركنى هكذا، فسمعت صوته يقول لها :

+ أنا أشعر بكل أتعابك وعشت مثلك على الأرض.

– فقالت له، قطعاً لا تشعر بى، إنك احتملت آلاماً كثيرة ولكنك لم تعانى من الشلل والعجز، الذى أعانيه أنا الآن، هل كنت مشلولاً وعطشاناً ولا تستطيع أن تشرب ؟

+ رد عليها المسيح وقال، أنظرى إلىَّ وأنا على الصليب، ألم أكن مشلولاً من كل حركة ؟ وعطشت، فسقونى خلاً.

عندما سمعت صوت المسيح وكلامه هدأ قلبها، بل وشعرت أنه يشاركها أتعابها ويشعر بآلامها، ثم ارتفع فى مخيلتها صورة المسيح القائم من بين الأموات، فتشجعت جداً وبدأ الأمل يدب فى قلبها وازداد إيمانها بأن الله يستطيع أن يحل مشكلتها.

عند الكشف عليها فى الميعاد التالى، قال لها الطبيب، أن العصب لم ينقطع ولكنه انضغط جداً وهناك أمل محدود فى تجاوبها مع العلاج الطبيعى، حتى تتحرك أطرافها، فأظهرت استعدادها لعمل جلسات العلاج الطبيعى وكلها أمل أن تشفى من عجزها.

بدأت جلسات العلاج الطبيعى ولم تظهر لها نتيجة، رغم مرور الأيام والشهور، ولكنها ثابرت برجاء لا ينقطع، وأخيراً بدأ التحسن البسيط، أما هى فاستمرت تصلى وتطلب من الله أن يقويها، لتعود إلى خدمتها.

مع هذا الرجاء والإصرار على الحياة والحركة، ازداد التحسن؛ حتى استطاعت أن تقف على رجليها وتحرك يديها ولو حركة بسيطة. وهنا طلبت ممن حولها أن يساعدوها؛ لتعود إلى خدمتها، فاعترضوا بشدة لخوفهم عليها، أما هى فأصرت وقالت لهم، هذا هو أملى فى الحياة، فاضطروا أن يسكتوا بعد إلحاحها.

بدأت تخرج للخدمة مع أحد أحبائها المساعدين وازداد تحسنها الصحى ولكن رغم ضعفها، كانت كلماتها فى غاية القوة، حتى تأثر جداً بها كل من زارتهم وامتلأوا حماساً ورجاءً، اكتسبوه من رجائها.

فى كل هذا، كانت تشعر بعدم استحقاقها للخدمة، مما فاض على الآخرين، الذين يساعدونها والذين تزورهم، فتعلموا منها الاتضاع والحب.

الفهرس

رقم الصفحة

الفصل الأول : عشرة الله	**7**
الفصل الثانى : التوبــة	**16**
الفصل الثالث : التجـرد	**26**
الفصل الرابع : الخفــاء	**35**
الفصل الخامس: التلمـذة	**44**
الفصل السادس : الخدمــة	**52**

إصدارات سابقة :

أ – **تفسير الكتاب المقدس :**

1- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الأول (بشارتى متى ومرقس) نوفمبر 2004.

2- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الثانى (لوقا ويوحنا) نوفمبر 2004.

3- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الثالث (أعمال الرسل ورسالة رومية) مارس 2005.

4- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الرابع (تفسير رسائل بولس الرسول من كورنثوس الأولى حتى فليمون) يوليو 2005.

5- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد الجزء الخامس (من العبرانيين حتى رؤيا يوحنا اللاهوتى) نوفمبر 2005.

6- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء الأول (سفر التكوين) مارس 2006.

7- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء الثانى (سفرا الخروج واللاويين) نوفمبر 2006.

8- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء الثالث (سفرا العدد والتثنية) يوليو 2007.

9- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء الرابع (أسفار يشوع وقضاة وراعوث) ديسمبر 2007.

10- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء الخامس (صموئيل أول وثانى) يونيو 2008.

11- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم الجزء السادس (ملوك أول وثانى) يونيو 2009.

12- دراسة وتفسير سفر طوبيا يوليو 1996.

13- دراسة وتفسير سفر يهوديت يوليو 1997.

14- دراسة وتفسير سفر الحكمة الجزء الأول يوليو 1998.

15- دراسة وتفسير سفر الحكمة الجزء الثانى يناير 1999.

16- دراسة وتفسير سفر الحكمة الجزء الثالث أغسطس 1999.

ب – ميلاديات :

1- الحب المتجسد يناير 2004

2- أحبك يا إلهى المتجسد لأجلى يناير 2005

جـ- القيامة :

1- إنسان القيامة أبريل 2003

2- المسيح القائم فى وسطنا أبريل 2004

د – قراءات يومية :

1- معاً كل يوم (ثلاثة كتب) يناير 2001

2- معاً كل يوم للكبير والصغير (كتابين) نوفمبر 2005

هـ- قصص من الحياة :

1- تدبيرك فاق العقول الجزء الأول أبريل 2003
2- تدبيرك فاق العقول الجزء الثانى سبتمبر 2006
3- تدبيرك فاق العقول الجزء الثالث مارس 2008

و – متنوعات :

1- الطاعة طريق القيامة مايو 2005
2- أريد أن أرى الله يناير 2006
3- كيف أرى الله أبريل 2006
4- الله فى حياتى يناير 2007
5- الصلاة لذة الحياة أبريل 2007
6- المسيح فى الزواج والأسرة يوليو 2007
7- فرح عظيم يناير 2008
8- فرح مجدد ومجيد أبريل 2008
9- طريق الأفراح يناير 2009
10- أحضانى تناديك يا حبيبى أبريل 2009
11-لماذا تحت الأقدام يناير 2010

ملحوظة :

- بعض هذه الكتب قد نفذ وجارى طبعها.
- صدرت طبعات كثيرة لبعض الكتب والتاريخ المذكور هنا هو تاريخ الطبعة الأولى.